# أهمية اللغة العربية في الاتصال والتبادل بين الحضارات .

**بقلم الأستاذ الدكتور: الأخضر شريط.**

**قسم الفلسفة،[1] جامعة الجزائر2.**

إن الهدف من هذا البحث هو الوقوف على أهمية اللغة العربية، الأهمية التي من خلالها تلألأ نجم الحضارة العربية الإسلامية: الأهمية التي قدمت المخزون الحضاري للأمم من جهة. كما أنها من جهة أخرى، استفادت من جواهر الحضارات السالفة، أي الحضارات التي سبقتها. وعليه فإن الهدف هو إبراز هذا الكنز الدفين للغة العربية من خلال دراسة ما قامت به من ترجمة في الحالة السابقة لها. أي في الحالة التي سبقت الحضارة العربية الإسلامية من جهة. ومن جهة أخرى. ما قامت به من مجهودا جبار في تلك الترجمات التي قام بها الغرب لنقل كنوز الحضارة العربية الإسلامية.

وعليه يمكن القول أن اللغة العربية قامت بمجهودين ما يمكننا تسميته ب مجهود النقل (الاتصال) الحضاري السابق على الحضارة العربية الإسلامية ومجهود تمثل في (النقل الاتصال) الحضاري من هذه الأخيرة نحو الحضارة الحديثة والمعاصرة ، ناهيك عن العمل الضخم الذي أرست به قواعد الحضارة العربية الإسلامية.

هذا يجعلنا نركز على استقصاء حقيقة أهمية اللغة العربية، ما إن كانت من اللغات الأمهات. أم من اللغات المشتقات . فإذا كانت من اللغات الأولى. بالتالي تكون ذات أهمية كبيرة لهذه الهوية العميقة في التاريخ، وتكون بذلك أقدم شاهد على حقيقة البشر، كون أنها كانت موغلة في القدم. وإن كانت من الثانية. فهذا يعني أنها حادثة النشأة، وتكون حادثة

1

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الصلة بواقع الناس، وعليه سوف تعرف تطورا يمليه عليها العصر، ليعطي لها أهمية ما ! و لتكون بذلك لغة من اللغات، التي يأتي عليها الزمان كألفاظ وكمعاني. اعتبارا من أن كل ما هو من اللفظ طبيعة. أو لنقل طيني. كما قال أبو حيان التوحيدي– في كتابه الإمتاع والمؤانسة[2]– وكل ما هو طيني بائد يأتي عليه الزمان كما قلنا.

لكن لما نعود إلى حقيقة اللغة العربية نجدها تعود إلى سيدنا آدم – عليه السلام– كون أن هذا الأخير كان يتكلم اللغة العربية. بدليل قوله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها... ﴾[3] الآية التي فسرت من قبل بعض المفسرين بأنه علمه باللغة العربية، اعتبارا من أن العربية كانت هي لغة القرآن. وهذا الأخير كان قديما. ثم أنه ﴿ بلسان عربي مبين ﴾[4]. ومن هنا يمكننا القول لهذا الاعتبار أن اللغة العربية في هذا الشق من البحث قديمة مما يكسبها أهمية تاريخ كبرى . و بالتالي هي من اللغات الأمهات. إن لم تكن اللغة الأم. لأننا لا ندري إن كان آدم قد تكلم اللغة العربية وحدها أم تكلم لغات أخرى إلى جانب العربية.

وأما عن الشق الثاني من المسألة أي علاقة اللغة العربية بالتبادل بين الحضارات فإننا نقول أن العربية باتت من قبيل اللغات التي تتكلم والتي تكتب والتي تتداول بين الناس على جميع المستويات، وهذا منذ على الأقل الجد قحطان أو الجد عدنان. أو لنقل مع البعض منذ سلالة حام بن نوح – عليه السلام – إن مسألة أن العولمة هي كما جاء في تعريفها إخضاع لغات العالم كلها للرائد اليوم، ألا وهو اللغة الانجليزية، باعتبارها لغة العصر من جهة. وباعتبارها لغة العلم والحضارة ، اليوم أكثر من أي وقت مضى . نقول أن اللغة المهيمنة على العالم اليوم فعلا هي الانجليزية. ولكن هذا ليس إلا عارضا تاريخيا اعتبارا من أن الذي يملك قوة الحضارة. يملك سمة الإخضاع واعتبارا من أن الذي ينتج في

---

[2] ) أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، الجزء الأول، موفم للنشر ، الجزائر،1989، ص 111.

[3] ) سورة البقرة الآية،31

[4] ) سورة الشعراء الآية، 195

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجال العلمي والتكنولوجي، هو الذي يهيمن ويسيطر على غيره. غير أن هذا الذي سميناه عارضا ليس إلا كالعارض الذي طرأ على بقية الحضارات المهيمنة والمسيطرة على غيرها من الحضارات. وهو قانون اجتماعي كان قد رسخه في الأذهان العلامة ابن خلدون في قوله« المغلوب مولع بتقليد الغالب »[5] . وهو الشيء الذي يحصل على مستوى الإنتاج العلمي والإنتاج الصناعي والاقتصادي وغيره. وهو الشيء نفسه الذي يحصل على مستوى رسم الكلمات والألفاظ للغة ككل. وللغة العربية بالخصوص. فإذا وجدنا اليوم أن لفظ كميوتر لم نرسو فيه كعرب على كلمة واحدة. في ترجمته من اللغة الانجليزية إلى العربية، لأن البعض ترجمه بالعقل الاليكتروني، والبعض الآخر بالحاسوب، والبعض الآخر بالإعلام الآلي، والبعض ب الآلة إلى غيره من الترجمات.... وهكذا. فإن هذا يدل فعلا على أن المنتوج هذا لم تلده التكنولوجيا عندنا. وبالتالي فهو منتوج حضاري لا ينتمي إلى حضارتنا. وعليه يجوز التعامل معه كما هو. أي بلفظ الكميوتر. أو بالترجمة، ولا حرج.

ويجري الحال مع الكثير من منتجات الحضارة اليوم. غير أن هذا سوف نجد أنه مبرر تاريخيا. إذ أن الغرب أيضا لا سيما على أيام «النقل الحضاري» من العالم العربي الإسلامي إلى أوربا[6]... إلى صقلية وفرنسا وبولونا ومشارف النمسا. قد أخذت من الحضارة التي ستعرف بدايات انطلاقتها مع عصر الاكتشافات الجغرافية الكثير من الألفاظ التي يعود الفضل فيها إلى اكتشافات: ابن الهيثم، والبيروني، وابن حيان وغيرهم. حتى باتت اللغات الأوروبية. إلى اليوم تحمل الكثير من الألفاظ اللغوية، التي هي من أصل عربي. وهذا باعترافات النحويين واللغويين الغربيين أنفسهم.

---

[5] ) عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص. 258-

[6] ) يراجع بخصوص الانتقال الحضاري إلى أوروبا ، زغريد هونكة شمس الله تسطع على الغرب، أثر العرب في الحضارة الأوربية ترجمة فاروق بيضون كمال دسوقي دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة بيروت 1413-1993 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع الأخذ بعين الاعتبار عامل المقارنة بين العوامل التكنولوجية اليوم والبارحة: بين عالم ينحت ألفاظه اللغوية باستعمال أرقى التطورات التكنولوجية. وعالم نحت ألفاظه اعتماد وفقط على« العوامل الطبيعية » . التي توفرت له آنذاك.

لكن هناك مؤشر موجود في عبقرية اللغة العربية يجعلنا لا نخشى عليها من الذوبان في اللغات الأخريات. أو من الانحلال يقول غوستاف لوبون( G. Lebon ) [7].« أنّ اللّغة العربية تنتمي إلى مجموعة اللّغات السّامية و هي ذات أوصاف مشتركة مع العبريّة و تحوي أصواتًا تختلف كثيرًا عن مثيلها في اللّغات الأوربية [8] » هذا العامل أي عامل عتاقتها هو الذي سيساهم في مدى قوة العربية في التعامل مع غيرها من اللغات.

وعندما نتكلم عن هذا، نجد أنه مبرر في الواقع المعاش. فربما تكون الجزائر هي البلد العربي، الذي كان أكثر تعرضا للهجمة الاستعمارية، إبان القرن التاسع عشر. وظلت صامدة أمام غريمتها الفرنسية، على الرغم من أن الاستعمار الفرنسي سعى بكل السبل لمحاربة اللغة العربية. غير أن عهد الاستقلال أفصح عن أن هناك الكثير من الكلمات ذات الأصل الفرنسي ونحتت من عربية الجزائريين[9]، حتى تتواءم واللغة العربية. بل أكثر من هذا. لقد

---

[7] ) غوستاف لوبون ( 1841-1931 ) باحث و عالم اجتماع فرنسيّ ذو تآلي عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص. 258-259ف كثيرة شملت فضاءات معرفية كثيرة.اختصاصه الأوّل هو الطّب الذي حصل فيه على شهادة الدكتوراه سنة 1866 و لكنّ حبّه للمعرفة و الاستزادة منها و اهتماماته المبكّرة بمبدأ الاجتماعية ( La sociabilité ) كلاهما قاده إلى البحث و الكتابة في مواضيع ذات صلة بالإنسان و حركته في العالم و بالمجتمعات و تطوّرها و القوى النفسية و الرّوحية المختلفة التي تقود خُطى البشر فينشئون الحضارات و يُقيمون الدّول و المجتمعات و يملئون الحياة بناءً و حركة و نشاطًا و يحقّقون المعجزات.

[8] ) -انظر: G. Lebon,La civilisation des arabes livre 5 .Edition Firmin Didot - 1980,P.40

[9] ) فقد ذكر رفائيل نخلة اليسوعي أن عدد اللغات التي أخذت حروف العربية هو سبع وثلاثون لغة، معتبرا أن تلك العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية قد أفضت حتما إلى شدة تأثير العربية في تلك اللغات، وقد دخل قاموس سجل منها عدد من الكلمات العربية، بحيث لا تكاد تجد جملة طويلة في تلك الألسن لا تحوي عدة عناصر عربية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخذ القاموس الفرنسي الكثير من الكلمات ذات الأصل العربي [10]( مع استعماره ذاك للجزائريين ! ورغم حرصه على تعليم الفرنسية بديلا) .

أثبتت اللغة العربية، عبر تاريخها، بأنها لغة تطويع وتطبيع، وهي قادرة على استيعاب العلوم بألفاظٍ عربية. بعد تطعيم اللفظ الأعجمي بجينات ألسنية عربية، تم التوصل إليها بأسلوب علمي قائم على القياس ، فما جاء قابلا للقياس دخل في حقل التداول المعجمي العربي.ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب :ولم يغفل علماء اللغة الأوائل ذلك فقال ابن جني[11]: «وما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها[12] »

اعتمادا على هذه المعطيات، فإن العربية تكون بعتاقتها التاريخية وبمواكبتها للعصر لغة تحافظ على الاتصال من جهة. ومن جهة أخرى، لغة يتم من خلالها التبادل الحضاري، حتى تساير التطور الحاصل على مستوى لغات حضارة اليوم . فهذه افتراضات يجب أن نتحقق منها من خلال هذا البحث. وعليه فإن الإشكالية التي نريد أن نعالجها هي إلى أي مدى تصمد اللغة العربية في عملية الاتصال أمام غريماتها – وهم كثر اليوم –؟ وإلى أي مدى يمكنها أن تقوم بالدور الحضاري المنوط إليها ؟

---

[10] ) سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2002 ص ص 164 - 379).

[11] ) ابن جِنّي : هو أبوا الفتح عثمان بن جِنّي( بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء ) متوفى سنة 392هـ . وهو معرب كِنّي الموصلي النحوي اللغوي ، وأبوه كِنّي أي جِنّي كان عبدا روميا يونانيا مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي ،وجني تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة للفظ اليوناني gennaius ومعناها كريم ، نبيل ، جيد التفكير ، عبقري مخلص / الخصائص 8/1 وسر صناعة الإعراب 7/1

[12] ) ابن جِنّي ، الخصائص،تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت– لبنان– د ط ،د ت، الجزء الأول، ص. 3570

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإجابة على هذه المسألة رأينا أن نقسم بحثنا هذا إلى الخطوات التالية:

- في الجذور التاريخية للغة العربية النشأة والمفهوم والتطور.
- أهمية اللغة العربية.في الاتصال.
- اللغة العربية والتبادل بين الحضارات.
- اللغة العربية وتحديات.الاتصال والتبادل الحضاري.
- خلاصة البحث.

أولا في الجذور التاريخية للغة العربية النشأة والمفهوم والتطور:

يعود أصل اللغة العربية إلى أول إنسان نزل على الأرض، والذي هو سيدنا آدم، الذي تكلم اللغة العربية حسب المفكر اللغوي ابن فارس، الذي استدل على أن هذا أصل اللغة العربية من دليل قوله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها... ﴾[13] هذه الآية التي تعيد تعلم آدم للأسماء باللغة العربية، إذ أن القرآن جاء بلسان عربي مبين. وتعليم الله لآدم هذه اللغة جاء من منطلق أنها اللغة التي جاءت بالتعليم من الله لآدم. وكلام الله –كما قلنا– بلسان عربي مبين. يقول ابن فارس اعلم أن لغة العرب توقيف أي وحي من الله.ثم

« إن لجميع أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة و الإنجيل و القرآن معنى باللغة العربية الفصحى و العربية القديمة الارابية- الآرامية – بالإبدال الجائز بين الميم و الباء كمثال ( مكة – بكة ) ، لذلك كان اعتقادي أن هذه اللغة العربية كانت على مر العصور لغة الأنبياء ولغة البشرية ، و لقد أطلق عليها البعض في العصور الغابرة اسم الآرامية وهذا الاسم يتكون من اللفظة عينها بعد الإبدال اللفظي الجائز في كل لغات العالم . »[14]

فمن تركيز الباحثين على أسماء الأنبياء وأنها من أصل عربي لما هي عليه الأربية العربية من مميزات تجعل الكلمة فيها تأخذ حقيقة أو صفات أو خصائص الشيء سواء

---

[13] ) سورة البقرة الآية 31.

[14] ) محمد رشيد ناصر ذوق ، اللغة العربية وعلاقتها بأسماء الأنبياء ،الجزء الأول تشرين 2005

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان هذا الشيء جمادا أو نباتا أو حيوانا....، ولقد أثبتت الدراسات الدلالية أي في علم الدلالة هذه الحقيقة. ولنا المثال من كلمة يحمل فإن حرف الحاء، بسكون في الكلمة يوحي بالثقل، وكأن الإنسان الذي يرفع الشيء إنما يرفعه بصعوبة، فتأتي مسألة الثقل وكيف يتحسس حرف الح ، هذا الإحساس لتصبح اللفظة تدل على معنى« رفع ثقيل » وعليه فإن كل الكلمات لها هذه الدلالة في اللغة العربية.

ولعل بعض الباحثين اهتموا بأسماء الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم– فوصلوا إلى النتيجة نفسها ابتداء من آدم إلى محمد – صلى الله عليه وسلم– فقالوا في اسم آدم نرى العلاقة الوثيقة بين هذا الاسم و معنى التراب - الاديمة– من مصدر أديم و معناه تراب الأرض بالعربية و هذه الصفة لاسمه تطابق معناه بالعربية ، حيث أن جميع الكتب السماوية تقول أن آدم خلق من تراب يقول القرآن الكريم : ﴿و إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[15]

وتقول التوراة : ز– ويصنع ( يصير ، يجعله يصير) الله (إياه) آدم من عفر الاديمة ويفح ( ينفخ) بأنفه نسمة الحياة و هاهو ادم نفس حيه.

أما في اسم حواء ، أول امرأة في التاريخ الإنساني، فهو من مصدر حوى – و حياة أو الذي يحوي الحياة في داخله ، وهذه الصفة تطابق معنى اسم حواء حيث أنها تحوي الحياة في داخلها بعد أن تزوج آدم بحواء أنجبت له ولدين اسم الأول قايين و اسم الثاني هابيل.[16]

---

15 ) سورة الحجر الآيتان،29،28

16 ) محمد رشيد ناصر ذوق ، اللغة العربية وعلاقتها بأسماء الأنبياء ،الجزء الأول تشرين 2005

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبقى هذا الدليل على أن للغة العربية هذه الجذور التاريخية يبقى دليلا لغويا بمعنى أنه صاحبه يستند في تحليله على التحليل اللغوي للأسماء وللكلمات وهو تحليل كما نلاحظ يعتمد على مدى التطابق بين اللغة العربية وما كان يسمى بالآربية التي يرجح صاحب الفكرة أنها هي عينها العربية بالقلب للحروف كما مر معنا بضربه للمثال.

وبهذا المعنى يصبح حتى أسماء الأنبياء من أصل عربي. يقول الباحث محمد رشيد ناصر ذوق إن. « معنى اسم نوح من مصدر الوحي: إن اسم نوح على التحقيق من مصدر الوحي حيث يقول القرآن الكريم في ذلك: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ و النَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُود زَبُورًا وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَ رُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ – قرآن كريم.

و هذا يدل على إن اسم نوح من مصدر الوحي. حيث أن نوح هو أول من أوحى الله إليه وحيا ومن بعده النبيين.

روى مسلم بسنده عن رسول الله (ص) انه قال : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش[17] –.

ومن هنا فإن اسم. « إبراهيم ( اب - راحيم: في الجيل التاسع لأبناء نوح و لد إبراهيم ، و اسمه أيضا يحمل صفة باللغة العربية كما أسلفنا ( أبي رحم – ومعناه أبو الأرحام و الرحمة.( وولد لإبراهيم أبناء اسم الأول إسماعيل ، و اسم الثاني اسحق و يكون اسم إسماعيل من صيغة عربية تعني يسمع الله ( يسمع ال ) ، حيث أن الله سبحانه قد سمع دعاء إبراهيم لإنجاب ولد من صلبه وسمع

[17] ) محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق – سوريا – 1991. 40

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نداء هاجر فكان أن أطلق عليه اسم إسماعيل ، يقول القرآن في شكر إبراهيم لله على ذلك ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾، أما التوراة فتقول ( أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه.

يقول المؤرخون في لغة إسماعيل: (( تنسب العربية المثلى) إلى إسماعيل – عليه السلام – وهي اللغة عينها التي تكلم بها بعض العرب على عهد محمد (ص) فلقد تزوج إسماعيل من قبيلة جرهم ) العربية التي هاجرت من اليمن إلى مكة ) وعاش بينهم واختلط نسله بنسلهم ولكن إسماعيل عندما تكلم العربية رفع من شانها واستعمالها بفضل ما أوتى من ذكاء ودقة في التعبير واللفظ و لعلمه بلغة الوحي الذي نزل على أبيه إبراهيم – من هنا نجد أن إسماعيل قد أضفى على العربية طابعا خاصا جعلها أفضل من لغة جرهم[18] ، يدل ذلك ما رواه الشيرازي في كتاب الألقاب ، أن رسول الله (ص) قال ((أول من فتق لسانه بالعربية المتينة إسماعيل (ع) وهو ابن أربع عشرة سنة[19] لذلك ففصاحة إسماعيل و عربيته لم تكن بسبب زواجه من قبيلة جرهم كما يقول البعض ، بل قبل ذلك كما يقول رسول الله ( ص) منذ حداثة سنه و هو ابن اربعة عشر سنة . يقول الله سبحانه ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ وَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وهذا ينطبق على إسماعيل

---

18 -)–د.حسن ضياء الدين العتر، الأحرف السبعة ، دار البشائر الإسلامية- الطبعة الأولى 1988 ص33-

19 ) الذي جاء في صحيح البخاري(3364) قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي – صلى الله عليه وسلم– فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم

فهذا يدل على أن إسماعيل عليه السلام تعلم العربية من جرهم

لتفاصيل أكثر أنظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 1-33

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضا، حيث أن إسماعيل كان على علم بالصحف التي أنزلها الله على أبيه إبراهيم ، مما جعل لسانه أكثر فصاحة من لسان جرهم . وهذه العربية المتينة التي ذكرها الرسول عليه السلام هي (عربية الوحي) الذي انزل على إبراهيم كما هي أيضا عربية الوحي الذي انزل على محمد وسائر الرسل. (( قال ابن فارس في فقه اللغة : باب القول في افصح العرب...: قال حدثنا إسماعيل بن أبى عبد الله قال: تجمع علماؤنا بكلام العرب ورواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشا أفصح العرب السنة ....وأصفاهم لغة ، ذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار محمدا (ص) فجعل قريشا قطان حرمه وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون آلي مكة للحج ،ويتحاكمون إلي قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلي سلائفهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب[20] ونحن لا ننكر أن تكون هناك أراء أخرى في هذه المسألة مختلف حولها بين المؤرخين لا سيما القدامى منهم ولعل هذا الرأي يكون غير ثابت لكننا نرجحه على بقية الآراء، لما جاء على لسان عثمان بن عفان– رضي الله عنه– في حادثة تدوين القرآن الكريم«إنما انزل القرآن بلغتهم »[21] أي بلغة قريش.

إذن توصلنا من هذه الآراء التاريخية إلى النتيجة التالية: أن اللغة العربية أقل ما يقال عنها أن جذورها ضاربة في التاريخ لما لهذه الجذور من علاقة وطيدة، بل علاقة حبك متين بين الأولين من البشر. فمرورا بالأنبياء عليهم صلوات الله، فوصولا إلى المصطفى الحبيب محمد – صلى الله عليه وسلم– وأن العربية لغة تملك من العتاقة ما يؤهلها لأن

---

20 ) د. حسن ضياء الدين العتر ،الأحرف السبعة، دار البشائر الإسلامية 1988

21 )هذا القول لعثمان بن عفان مؤكد من حادثة وضع قاعدة عند كتابة اللجنة التي انتقيت لكتابة القرآن ، حيث يقول « إذ اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن , فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنه إنما نزل بلسانهم» أنظر: الاتقان 59/1 , مقدمتان فى علوم القران ص 19 http://www.alabrarforum.com/t430.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلعب الدور الحضاري. ومع كل ذلك نقول، أنه ليس الذي يملك هذه الخاصية وحدها هو الذي يمكن أن يتزعم الريادة في التبادل الحضاري، لأننا نرى اليوم اللغة الإنجليزية التي هي وليدة القرن السابع عشر الميلادي تتزعم ريادة هذا التبادل الحضاري اليوم. ولأن التبادل الحضاري هو بالدرجة الأولى يعود إلى خصائص أخرى ربما سوف نعالجها على هامش بحثا هذا.

أهمية اللغة العربية.في الاتصال.

بداية نشير أن البروفسور الياباني"يونيجي ماسود " تنبأ بقدرة الإنسان في نهاية القرن الماضي، على تحصيله المعلومات المطلوبة بمنتهى السرعة واليسر والسهولة . وهي النبوءة التي تحققت بالفعل وفقا للزمان الذي أشار إليه البروفسور الياباني.

وأما عن مفهوم الاتصال فنقول كما قال د هادي حسن عليوي ود جبار عودة العبيدي في كتاب مدخل في سياسة الإعلام العربي والاتصال، « أن الاتصال هو النشاط الاتصالي الذي يتم سواء عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية أو عن طريق الاتصال المباشر "الوجاهي[22]»

كما أننا نشير إلى أن هناك تعريف أخرى لمصطلح الاتصال سوف نورد البعض منها وذلك للاختلاف الموجود بين الآراء المدرية في المفهوم هذا ومن هذه المفاهيم ما يلي :

« الاتصال هو العملية التي يتم من خلالها نقل رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل من مرسل أو مصدر معين إلى مستقبل،أما الاتصال الجماهيري فهو ذلك النمط من الاتصال الذي يتم بين اكثر من شخصين لإتمام العملية الاتصالية والتي غالبا ما تقوم بها بعض المؤسسات أو الهيئات عن طريق رسائل جماهيرية.

· الاتصال هو نقل أو انتقال للمعلومات والأفكار والاتجاهات أو العواطف من شخص

[22] ) هادي حسن عليوي و جبار عودة العبيدي ، مدخل في سياسة الإعلام العربي والاتصال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو جماعة لآخر أو للآخرين من خلال رموز معينة.

· الاتصال يعرف على انه عملية تحدد الوسائل والهدف الذي يتصل أو يرتبط بالآخرين ، ويكون من الضروري اعتباره تطبيقا لثلاثة عناصر :العملية–الوسيلة–الهدف.

· الاتصال عملية تفاعل بين طرفين من خلال رسالة معينة ،فكرة ، أو خبرة ،أو أي مضمون اتصالي آخر عبر قنوات اتصالية ينبغي أن تتناسب مع مضمون الرسالة بصورة»[23]

من خلال هذه التعاريف يتبين أن هذه المفاهيم للاتصال تؤكد على بعده المداريسي هذا البعد الذي استطاع صانعوا الإعلام أن يثبتوه على النحو الذي يبدوا لهم يخدم الرسالة أو يخدم القضية التي يديرونها. ومن هنا يمكن لنا أن نتساءل عن ما مكانة الاتصال العربي بين الإعلام والاتصال العالمي للإجابة على هذا السؤال فإنه يتحتم علينا النظر في مسائل ثلاث تخص هذا الموضوع:

الأولى هي مصادر الخبر.

والثانية كيفية معالجته.

والثالثة القدرة على إيصاله.

فبخصوص مصادر الخبر الظاهر أن اللغة العربية في البلاد العربية تتبع الإمكانيات التكنولوجية التي تستقبل أو تبث الخبر. وعليه فإن الأمر هذا يجعلنا نتساءل عن هذه الإمكانيات. ومعلوم أن البلاد العربية تملك إمكانيات ضخمة في هذا المجال والدليل على هذا كثرة المنشآت الإذاعية أو الفضائيات مما يدل على الكم الهائل للإمكانيات. والسبب يعود هنا إلى أن البلاد العربية تستورد تقريبا كل إمكانياتها في هذا المجال. ولكن بخصوص مصدر الخبر. فإن البلاد العربية تعتمد فيه تقريبا جميعها على البلاد الغربية. سواء من

---

[23] ) الدكتور محمد جاسم فلحي الموسوي، نظرية الاتصال والإعلام الجماهيري... **الجامعة العربية المفتوحة في الدنمارك**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكالات الأنباء المهيمنة على الإعلام. أو من وكالات إعلامية محلية. وعليه فإن اللغة العربية هنا تكون في وضع «المترجم» لما يحصل من مادة إعلامية للغات الأخرى لا سيما الانجليزية .

والأمر حتى هذه اللحظة عادي لكن الطريف في المسألة أن تكون اللغة العربية في موقف يجعلها تترجم مصطلحات تحمل أفكارا قاتلة. أو تحمل أفكارا ميتة، كما يقول مالك بن نبي. فهذا هو الخطر. ومن الأمثلة على ذلك المصطلح الشائع والذي هو الإرهاب. فعندما يترجم خبرا حرفيا دون معالجة علمية دقيقة لخبر يتعلق بالقضية الفلسطينية فإننا نترجمه بما يخدم الأهداف المتواخاة من الذين وضعوا المصطلح في الغرب. وعلى هذا المنوال تسير كل المصطلحات في الترجمة التي تواكبها اللغة العربية .

ولقد كان الاتصال قديما في اللغة العربية يتم بواسطة الشعراء الذين دشن لهم سوق عكاظ وسوق .....فالوسيلة الاتصالية للغة العربية كانت تتم في نطاق المحلية، بهذه الطريقة. وكان بإمكاننا الحكم على هذا النوع من الاتصال، بأنه كان يحمل بشكل جيد البضاعة الاتصالية، بالشكل الذي يخدم الغرض والمصلحة منه في البلاد العربية. لكن مع التقدم والتطور التكنولوجي، فلقد تقلص هذا الدور الإعلامي: الطريقة السالفة الذكر في عصر انتشرت فيه وسائل الاتصال التكنولوجية انتشار النار في الهشيم. وغطت المعمورة.

قلنا إذا أن الوصول إلى مصدر الخبر جد مهم وفي هذا الباب أذكر أن بعض وسائل الإعلام العربية تمكنت من هذا . ولا سيما بعض الفضائيات ومن هنا بات لزاما أن نصنف اللغة العربية في مرتبة عالمية في هذا الاتصال الإعلامي. إذ كثيرا ما رأينا وسائل إعلام أجنبية تنقل عنها، مما يدل على أن اللغة العربية في هذا الإعلام أثبتت جدارتها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك الملاحظ أن بعض القنوات الحرة في البلاد العربية استطاعت أن تجعل شعوب العالم الآخر تتعلم بعض المصطلحات العربية. ومن هذه المصطلحات مصطلح «الانتفاضة» الذي دخل مع أواخر القرن الماضي أجندة القواميس الأجنبية.

إن الفضائيات العربية وهي على مختلف الأشكال والألوان من تجارية وخاصة وعمومية أصبحت كلها وباستعمالها للغة العربية تتنافس على مصدر الخبر. حتى لا حظنا في كثير من الحالات أن قناة متخصصة تنفرد بالخبر على المستوى العالمي. وهذا شيء مهم ،في حصيلة التطورات التي عرفتها اللغة العربية، في هذا النوع من الإعلام الإخباري المتخصص. حتى أن الأمريكيين باتوا يشهدون لهذه الفضائيات العربية المتخصصة بالصدق والمصداقية في بث الأخبار. لا حظنا أن وزيرة الخارجية الأمريكية قد شهدت بالتفوق الذي باتت عليه بعض القنوات العربية المتخصصة فقالت « سواء أعجبنا هذا أم لم يعجبنا ففاعلية الجزيرة قوية، وعدد مشاهديها في ازدياد، حتى في الولايات المتحدة، لأنها تقدم أخباراً حقيقية على مدار اليوم، ومن دون إعلانات تجارية، وبرامج جدل الخبراء، والأشياء الأخرى الموجودة في وسائل الإعلام الأمريكية.»[24] إن القناة العربية أثبتت مكانتها للصدق والمصداقية التي تتعامل بها وهو شرف للإعلام العربي. قاطبة حين يتوخى الصدق والمصداقية.

إن الإعلام المستعمل للغة العربية باتت تتنازعه مجموعة هائلة من الرغبات، ومن ذلك الرغبة الشهوانية. وهو ما تجسد مع القنوات العربية التي باتت تجارية بفعل ما تحققه من انتشار لدى الشباب العربي. وبفعل ما تحقق لها من ربح في هذا المجال التجاري. ولكن كان كل ذلك على حساب قيم الأمة العربية. وعلى حساب مبادئ الدين الإسلامي للأمة العربية. ومنه فلقد بات الفرد العربي يتأبط شرا مستطيرا بفعل عمل هذا النزاع من الإعلام

---

[24] أنظر موقع دار الخليج والتصريح لوزيرة الخارجية الأمريكية على الموقع:
http://www.alkhaleej.ae/portal/b4e9f...e2dab2692.aspx

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاتصال التجاري. يذكر أحد المتخصصين الإعلاميين أن عددها فاق كل القنوات الأخرى[25] .

وأما الأعلام المتخصص في الأخبار. فإننا يمكننا القول أنه إعلام بات في غالبيته موجها من أشخاص لا هم حكوميين ولا هم غير حكوميين. الشيء الذي يجعله يفقد مصداقيته الشرعية. وان استعماله للغة العربية بات من قبيل الترفيه والترويح عن النفس. فلذلك ادعت الأمم الأخرى أن إعلامها بات حرا. ولكن في نظرنا الحرية التي ينتجها شعبها وأما الحرية التي يتمتع بها هذا الأخير فهي تعود بالدرجة الأولى إلى من يعتمد على نفسه في العمل الإعلامي. وهو الشيء الذي ينقص المجتمعات التي توقفت على الإعلام الموجه من رغبات رجال كما قلنا لا هم حكوميين ولا هم غير حكوميين . .

لكننا لا يجب أن ننسى أو نتناسى القفزة النوعية التي استعملتها بعض وسائل الإعلام العربية الحرة. والخاصة. فهي ولكونها تستعمل المنتج الإعلامي باحترافية وبمهنية عالية. استطاعت أن تتغلب على صعوبة أن يكون لها جمهور عريض. وفعلا. فلقد تمكنت هذه الفضائيات من اختراق حتى حدود العالم العربي. للمصداقية التي وفرتها في إعلامها باستخدامها للغة الضاد.

اللغة العربية والتبادل بين الحضارات:

تأثير الحضارات الأجنبية السابقة:

أستطاع المسلمون بفضل الموقع الجغرافي الذي أمتدت فيه رقعة الدولة الإسلامية أن يتصلوا بالعديد من الشعوب، والتيارات الثقافية، والسمات الحضارية، وقد استعاروا منها عددا

---

[25] ) ( إن الاختصاصات السائدة التي تهدف خدمة الترفيه بدرجة أولى الموسيقى والدراما وبدرجة أولى تلفزيون الواقع والقنوات التفاعلية تحتل نسبة 40.68 في المائة من مجموع القنوات المتخصصة وإذا أضفنا إليها القنوات الرياضية فإن النسبة ترتفع إلى 54.83بالمئة ) أنظر المنصف العياري ومحمد عبد الكافي ،القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة ،سلسلة بحوث ودراسات إذاعية تونس 1427هـ2006م ص17

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الأساليب والنظم، والعلوم، والفنون، والصناعات، وأعادوا صياغتها وبناءها حسب التعاليم الإسلامية، وذوقهم العام، والحضارات التي تأثروا بها وأخذوا منها هي كالآتي :

1-الحضارة الإغريقية أو الهلينية: وقد كانت تأثيراتها انتقلت منذ زمن بعيد إلى المنطقة العربية؛ كما كانت لها بقايا مراكز حضارية في بلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر كالرها، وحران، وأنطاكية، والإسكندرية، فنقلت الكتب الإغريقية إلى اللغة الآرامية قبل ظهور الإسلام، واشتهرت بعلمائها لاسيما في الفلسفة، والطب، والتشريح، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والهندسة المعمارية الفخمة والتي تم عن طريقها انتقال تأثيراتها إلى البلاد الإسلامية.

2 . الحضارة الفارسية: كان تأثير الحضارة الفارسية واضحا من خلال ما تقدم عند الكلام على دولة اللخميين في الحيرة، والاحتلال الفارسي لليمن، وقد برز أكثر في ميادين الأدب والفنون والنظم حيث كانت فارس احتفظت بمزيج حضاري آسيوي خاص سُلم للعرب المسلمين، وسهل احتلال الحروف العربية بدل الفهلوية في الكتابة، كما كان لحركة الترجمة أثر واضح لاسيما في الأدب؛ إلى جانب علوم الهندسة، والفلك، والطب، وفي العمارة ،والفنون الأخرى، ويظهر هذا التأثير خلال حكم العباسيين خاصة في النظم منها نظام الوزارة[26]

3-الحضارة الهندية : تعود الاتصالات مع الهند إلى فترة موغلة في القدم، وإلى أيام الفتوحات الإسلامية؛ ففي البداية انتقلت علوم الهنود عن طريق الفرس كالرياضيات، والفلك، والأرقام ( راشيكات الهند)، وطب الأعشاب، وتعريف المصطلحات، والأسماء (زنجبيل،

[26] ) أحمدعبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ( القاهرة: دار الفكر العربي، 1990 )..ص،33

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكافور، وخيزران، وفلفل )، والحكم، والأمثال، والقصص (كليلة ودمنة، والسندباد البحري)، والألعاب كالشطرنج ثم مباشرة بعد أن اتسعت حركة الترجمة[27].

4-الحضارة الصينية : لا ريب أن التأثيرات الصينية كانت قد وصلت الى المنطقة العربية منذ القدم عبر تنقل الأفراد، والشعوب، والمنتجات الحضارية لاسيما عن طريق الهند والفرس؛ وأول اتصال عربي إسلامي بالصين كان على أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 31هـ/651م، وذلك قبل أن تصل جيوش المسلمين بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي الصين سنة 96هـ/ 714م أواخر عهد الوليد ابن عبد الملك؛ وأهم التأثيرات الصينية صناعة الورق . الكاغط .، والتي نقلها العرب عن بعض الأسرى الصينيين في سمرقند حوالي سنة 135هـ/751م، ثم ظهرت في بغداد بتأسيس أول مصنع للورق بأمر من الوزير الفضل ابن يحي البرمكي، كما أخذ المسلمون عنهم البوصلة، ونترات البوتاسيوم أي ملح البارود، وصناعة الخزف[28].

وتأثيرات الحضارات هذه شكلت إحدى المصادر الهامة للحضارة العربية الإسلامية حيث لم يكتف المسلمون باستيعابها، بل كيفوها وطوروها إلى درجة بدت فيها وكأنها ابتكارات جديدة كالنظم والأرقام، وعلم الجبر، وغير ذلك [29]...

اللغة العربية وتأثير الحضارة العربية الإسلامية

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة :وكان من الطبيعي أن تكون اللغة العربية لغة للإدارة ولسياسة والقانون بل لغة للتجارة والمعاملات وجمهور الناس،ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة ؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها

---

[27] ) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة ، 92 ، أحمد عبد الرزاق، المرجع السابق ص، 34

[28] ) أحمد عبد الرازق محمد ، المرجع السابق ،34

[29] )- مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، ( الجزائر: دار الصديقة، 1980/1400 )، ص،64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفريد ؟فجيران العرب أنفسهم سقطوا صرعى سحر تلك اللغة ، حسبما كان يشكو أساقفة اسبانية بمرارة » [30] .من خلال هذا النص تتبين لنا ثلاثة أمور الأمور:

الأمر الأول: أن الاعتراف – من هذه المستشرقة الألمانية– بأن اللغة العربية هيمنت إبان الحضارة الإسلامية على جميع مجالات الحياة فهي في عالم السياسة وهي في عالم الإدارة وهي في عالم حتى التجارة. لهو دليل على القدرة التي ظلت تتمتع بها هذه اللغة. لاسيما إذا علمنا أن هناك سياسات كانت تحكم خلال هذه الحضارة. وهي وأهلها غير ناطقين بالعربية. بمعنى أنهم أعاجم. وبالرغم من ذلك كانت سياستهم تدار بالعربية. وإدارتهم هي الأخرى تدار باللغة العربية. وحتى التجارة. وكل – كما قلنا– مجالات الحياة كانت تدار باللغة العربية .

والأمر الثاني: أن هونكة تقر بأن اللغة العربية ما كان لأي من الناس أن يخرج عليها بسبب الهيمنة الحضارية التي كانت تفرضها.

والأمر الثالث: أن اللغة العربية كان لها بريق ولمعان سحري، كانت جذابة من الناحية الفنية والأدبية. وهو السر الذي تحطمت تحته كل اللغات الأخرى.إنه جمال اللغة كما أنه عبقريتها الذي أفشى السر.

وتضيف هونكة عن هذه اللغة قائلة: « فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف ، حتى أن اللغة القبطية ماتت تماما ، بل إن اللغة الآرمية لغة المسيح ، قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد ، كما أنه وجب ترجمة بيانات البابا وقرارات المؤتمرات المسيحية في القرن التاسع إلى العربية للأقلية المسيحية في الأندلس، التي لم تعد تفهم اللغة اللاتينية. وحتى بعد احتلال المسيحيين ثانية

---

[30] ) زغريد كونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي،الطبعة الثامنة، دار الآفاق الجديدة بيروت،1413هـ 1993 م ،ص367.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للأندلس فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين ، بعد تحررهم إلى اللغة العربية[31]».

ويفيد هذا النص من المستشرقة – أيضا– أن العربية وجدت مكانا لها ليس على حساب اللغات السائدة وإنما على حساب ثقافة هذه اللغات السائدة. ومن الأمثلة على ذلك أن القبطية ماتت بسبب ما كان لها أن تصمد أماما عبقرية لغة الحضارة العربية الإسلامية.

وأنه حتى الآرمية وهي لغة المسيح عيسى– عليه السلام– ما كان لها أن تثبت أمام لغة لها من المؤشرات ومن المبررات الثقافية أن جعلتها عالمية. بينما تقوقعت الآرمية في بيت لحم منشأ وموطن المسيح عيسى –عليه السلام–. بسبب هذه المرة قوة أفكار اللغة العربية في ذاك الوقت. ولم تتح لها الفرصة حتى هاجرت الفكرة المسيحية نحو الشعوب الجرمانية، التي احتضنتها مع عصر بعد الموحدين. يقول في هذا المعنى المفكر مالك بن نبي« وهذه الحالة ترينا أن تأثير فكرة دينية معينة رهن ببعض شروط الجغرافية الإنسانية ، فإذا لم تجدها في موطنها هاجرت لتجدها في مكان أخر »[32]

والفكرة الإسلامية كفرة دينية من القرآن هذا الأخير ﴿ بلسان عربي مبين﴾[33] والسنة النبوية المطهرة هي الأخرى بلسان النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – اللسان العربي.

ثم تضيف هونكة متحدثة عن مزايا وخصال في اللغة العربية تقول: « وهكذا تحولت لغة قبيلة[34] في خلال مائة عام إلى لغة عالمية ، ليست اللغة ثوبا نرتديه اليوم لنخلعه غدا . لقد وجدت اللغة العربية تجاوبا من الجماعات وامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها فكونت

---

[31] ) المرجع نفسه ص367

[32] ) مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر دمشق 1980،ص54-55

[33] ) سورة الشعراء الآية 195

[34] ) والقبيلة هنا بمعنى القبائل العربية التي من أمها قبيلةة قريش والتي منها محمد – صلى الله عليه وسلم –

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفكيرهم ومداركهم ، وشكلت قيمهم وثقافتهم ،وطبعت حياتهم المادية والعقلية فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاثة وجها واحدا مميزا. »[35] .

فمن هذه المزايا والخصال أنها استطاعت أن تكتسح العالم في ظرف زمني قصير جدا، مقارنة باللغات التي كانت آنذاك معروفة :

فلقد تفوقت اللاتينية في روما لا سيما بعد معركة زاما كما أن القبطية ماتت بعد الفتح الإسلامي، وأما الفارسية فصقلتها العربية، وكذا التركية واللغات الهندية والصينية، فلقد تقلص نفوذهما في العالم آنذاك، بسبب رتابة اللغة العربية.

وإن مدة مائة سنة تعتبر مدة قصيرة في حياة اللغات، لأننا نعلم أن اللغات المشتقات من اللغة الأم والتي هي اللاتينية أي مثلا الفرنسية والايطالية والاسبانية ومنذ عصر الثورة الصناعية في أوربا إلى أيام ما بعد الحرب العالمية الثانية، أي مدة حوالي ثلاثة قرون لم تستطع أن تتطور بالتطور الذي عرفته اللغة العربية آنذاك. ما عدا اللغة الانجليزية التي شهدت هذا التطور أخيرا بسبب هيمنة الحضارة الغربية اليوم، بزعامة من أمريكا على العالم . كما أن من خصال اللغة العربية – حسب هونكة دائما – أنها أبحت جزءا من ثقافة الأقوام الذين توافدوا عليها بحملها للرسالة المحمدية وللثقافة الإسلامية. وهذا الشيء فريد من نوعه. لا يوجد في اللغات التي عرفناها، هيمنت أو مهيمنة اليوم على الحضارة العالمية.

فاللغة الانجليزية شكلت لسانا فقط لحامليها. ولم تشكل شخصية ثقافة الناطقين بها في غالب دول المعمورة. أي أن هذه الأقوام تتكلم الانجليزية لكنها تحافظ على ثقافتها. فكل البلاد التي تستعمل الانجليزية سواء في البلاد العربية اليوم، أو في غير البلاد العربية، لا تستعمل الانجليزية إلا كلسان فقط. بينما قيمها وثقافتها لم تطبع بالطابع الذي عرفته اللغة العربية في تلك الفترة التي دونتها الحضارة العربية الإسلامية.

---

[35] ) زيغريد هونكة شمس الله تسطع على الغرب مرجع سبق ذكره ص 367.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولنا دليل من هذه المفكرة الغربية نفسها، والتي أنصفت الحضارة العربية الإسلامية تقول: « حتى السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار عندما وصلوا إلى الحكم ضلوا بقلوبهم رعايا مخلصين للثقافة العربية ولغتها بل ولأساليب الحياة العربية وفكرها[36]».

إن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام حاليا يمكننا القول أنه أصبح مقلوبا قياسا بالوضع التاريخي لهذه اللغة أي اللغة العربية، بخصوص الأداء الحضاري للغة العربية. ومن ثمة سيتحتم علينا إبراز الدور الحضاري التاريخي لهذه اللغة للسبب السالف الذكر ثم بعد ذلك ننظر في الدور الحضاري لهذه اللغة اليوم.

إن التاريخ يؤكد لنا أن العربية كلغة، استطاعت أن تتعرف على منتجات غيرها من الأمم والشعوب، من أقصى المعمورة إلى أقصاها.فقديما لا حظنا كيف أن اللغة العربية استطاعت أن تعرفنا بقيم وحضارات سالفة للحضارة العربية الإسلامية، يقول في هذا المعنى الدكتور عبد الرحمان بدوي:« لقد كان العقل العربي منفتحا لكل أنواع الثقافات العالمية فعني بالتراث الإيراني والتراث الهندي وتراث حضارات قديمة كبيرة إلى جانب دوره العظيم هذا في تكوين الفكر اليوناني. وكان هذا التفتح الواسع الذي لا يحده شيء. ولا يقف في سبيله أي تزمت ولا تعصب ولا ضيق نظر. هو العامل الأكبر في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. هذا الازدهار الشامل الرائع الذي أضاء العالم في العصر الوسيط [37] ».

فهي (أي اللغة العربية) التي بفضلها استطعنا– كما استطاعت أوربا والغرب– أن نتعرف على الروح والتقاليد العريقة لحضارات شعوب، كالهند والصين وبلاد الرافدين ومصر القديمة، وتراث الرومان واليونان والترك. حتى غدا التراث الأدبي والفني والعلمي للهند القديمة، مثلا مجسدا لدى الأمة العربية. ولعل أحس مثال في

---

[36] ) زيغريد هونكة شمس الله تسطع على الغرب مرجع سبق ذكره ص 368.

[37] ) عبد الرحمن بدوي ، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي ، ط2 القاهرة 1967 ص،161.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا المجال كتاب« كليلة ودمنة»[38] ذي الأصل الهندي. وكذا كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي هو ذي أصل هندي. والكثير من كتب الهند ومن حكمة الصين القديمة. من مؤلفات كونفوشيوسConfucius 551–449 ق م ومؤلفات تلاميذته وأيضا كتب لحضارة اليونان. من تراث التاريخ، والفلسفة، والفن، والعلم. من سقراط470–399 ق م إلى ديوفنتوس Diofante 200 –284 ق م. وكثير من هذا التراث الأدبي لشعوب آسيا في شرقها .

والعربية استطاعت أيضا أن تهضم التراث اليوناني على مختلف أصنافه الأدبية والعلمية والفلسفية فابتداء من قصص هيرودوت–Hyrodote 482–420 ق م وتاريخ وإلياذة هوميروسHomeros [39]إلى جمهورية أفلاطون فمنطق المعلم الأول أرسطو طاليس َ Aristote 384 –322 ق م إلى .... .

فلقد استطاع الأوربيون في القرن الرابع عشر التعرف على هذا التراث اليوناني، الهندي، والصيني. من خلال الأعمال التي قام عليها أرباب العربية، في مختلف مشاربهم ومللهم ونحلهم . وهو المعروف بالانتقال الحضاري.

لقد أكدت زغريد هونكة[40] Sigrid Hunke 1913–1999م صاحبة « شمس الله تسطع على الغرب» هذه النقلة النوعية لهذا التراث، للحضارة العربية الإسلامية. وللحضارات التي سبقت حضارة العرب، إلى الغرب: إلى أوربا عبر – طبعا– لغة الضاد.

---

[38] ) ينسب الكثير من المثقفين كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع غير أن هذا الأخير هو مترجم له فقط عن التراث الهندي القديم ولكن مؤلفه الحقيقي غير معروف .

[39] ) هوميروس أشهر شعراء اليونان الأقدمين، عاش في القرن التاسع قبل الميلاد.وإليه تنسب الأوديسة، والإلياذة التي نقلها شعرا إلى العربية الشاعر اللبناني سليمان البستاني .

[40] ) زغريد كونكه ، Zigrid Hunke 1913-1999 م مستشرقة ألمانية من المنصفين ،لفضل ا لحضارة العربية الإسلامية على البشرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما نتكلم على هذا الانتقال الحضاري عبر هذه اللغة، لا نتكلم عليه عبر التراث الأدبي، وحسب. بل عبر حتى التراث العلمي . تقول في هذا المعنى صاحبة الكتاب « وانتقلت الحضارة العلمية والأدبية والتقنية إلى أوربا عبر إيطاليا والأندلس والحروب الصليبية وطرق التجارة ، وتعلم الأوربيون اللغة العربية وآدابها وعلومها في طليطلة وفاس ومدن المغرب العربي ، وكانت أوربا في تلك الفترة تعيش في ظلمة العصور الوسطى بينما المسلمون كانوا يعيشون في زمن الأنوار والانتعاش الحضاري.» [41]

إن المجهود الذي قدمه نُحّات العربية للغرب من تراث علمي مذهل جدا. لهو الدليل على ما لهذه اللغة من مزايا على الحضارة العربية الإسلامية، وعلى الحضارة الإنسانية، بصفة أعم. وإليك الأمثلة على ذلك.

ففي مجال الرياضيات نقلت العربية الأرقام العربية والصفر في علم الحساب إلى عالم كان يئن ويرزح تحت وطأة التخلف. كما نقلت أيضا وعلمت أوربا الكثير من المسائل الرياضية، ومنها تعليم العربية للغة الجبر. التي يقر حتى الغربيون اليوم بأنها من لبنات المفكر العربي الخوارزمي. لأن ديوفانتس كان حاول المحاولات الأولى في هذا العلم. لكن الخوارزمي 780–850م وثابت بن قرة (221 هـ/836 م – 26 صفر 288 هـ/19 فبراير 901 م) وابن البنا المراكشي(721 هـ – 654 هـ / 1321 – 1256 م) وابن قنفذ القسنطيني(810–740 هـ 1339–1407م ). وغيرهم كانوا قد قدموا لأوربا كيف تحل المعادلات من الدرجة الثالثة والربعة والخامسة في علم الجبر. كما أنهم قدموا لها أيضا مسألة في غاية من الأهمية في التطور العلمي، وهي مسألة جبرنة الهندسة، وهندسة الجبر،

[41] ) زغريد كونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي،الطبعة الثامنة، دار الآفاق الجديدة بيروت،1413هـ 1993 م ،ص33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تمت على يد الخوارزمي والرازي أبو بكر وغيرهم. وكل ذلك إنما تم لهم من استعمالهم للغة العربية .

فعلا لقد أبدع أولئك العلماء بل وتفننوا في استعمال الأحرف لأول مرة، للتعبير على المعادلات الرياضية وللتعبير على الجب والتجب في علم المثلثات في الهندسة. وغير ذلك.

لقد أثبت الدكتور أحمد جبار في علم المثلثات أن نظرية «سيفا » Le théorème de céva. 1648–1737 م منقولة نقلا تاما عن ابن البنا المراكشي (654 هـ – 721 هـ / 1256 – 1321 م) بشكلها الهندسي وحتى بحروفها وبرهنتها في القرن السابع عشر – ومع الأسف– ينسبها« سيفا » أي هذه النظرية إلى نفسه وتصبح معروفة باسمه[42]

وعندما نتكلم على مشاهير العلم باللغة العربية سوف يكون لدى الكثير من هؤلاء المشاهير، الشيء الذي لا يفي هذا البحث بأغراضه، ولكن مع ذلك سوف نؤثر أن ندرج البعض منهم على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر. وكلهم استعملوا اللغة العربية في أبحاثهم وفي مصنفاتهم ومؤلفاتهم العلمية. ومن هؤلاء نذكر ابن البنا. الذي أكسب اشتغاله بالرياضيات شهرة عظيمة بين معاصريه. فنال الحظوة في بلاط دولة بني مرين في فاس ، فكانوا يستدعونه لإلقاء دروس الحساب والهندسة والجبر. كما اشتهر بالاعتماد على الأرقام الهندية المعروفة بالغبارية والأرقام المعروفة بالعربية, كما اشتهر بالجوانب التطبيقية في علم الحساب والموسيقي. من إسهامات ابن البناء في الحساب أنه أوضح النظريات الصعبة والقواعد المستعصية، وقام ببحوث مستفيضة عن الكسور، ووضع قواعد لجمع مربعات الأعداد ومكعباتها، وقاعدة الخطأين لحل معادلات الدرجة الأولى، والأعمال الحسابية، وأدخل بعض التعديل على الطريقة المعروفة "بطريقة الخطأ الواحد" ووضع ذلك على شكل قانون.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية، أن ابن البناء قد تفوق على من سبقه من علماء الإسلام في الشرق، في علوم الرياضيات، وخاصة في حساب الكسور.

---

42 ) أنظر بهذا الصدد: أحمد جبار العلوم في الحضارة العربية الإسلامية محاضرة قدمت في الملتقى الدولي الربيع الأمازيغي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت كل البحوث التي يقوم بها هؤلاء المشاهير باللغة العربية، لسبب أنها كانت لغة العلم والحضارة. كما أنها كانت لغة الدين الحنيف. الشيء الذي لم يجعل من لغات الشعوب المترامية الأطراف في المشرق أو في المغرب، تستطيع حتى أن تنافس العربية في هذا المجال. ذلك أن هذه الأخيرة كانت دوما لغة القرآن ولغة الدين وهي لغة العلم ولغة الحضارة ومن هنا باتت اللغات الأخرى، تستفيد من اللغة العربية الكثير من منتجاتها اللغوية العلمية في جميع المجالات .

إن كل منتج علمي حضاري، سوف يجد انعكاسا له في اللغة التي طاوعتها الحضارة الإسلامية. ولم تضعها في موضع الصراع. بل وضعتها في موضع التبني. بسبب ما كنت تقدمه هذه العربية من عبقرية، على كل المستويات. ومن هنا وجدنا أن أكثر العلماء والباحثين من غير العرب، ولكنهم يكتبون ويدونون بالعربية. تكرما وتقديرا لها من جهة. ومن جهة أخرى، اعتزازا وفخرا بلغة القرآن .

« وفي حدود نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، شاهد نشاط الحساب التوافقي انطلاقة

جديدة على يد الرياضي ابن البنّا المراكشي الذي أتى بنتائج أصيلة في هذا الميدان،

لخّصها في رسالته" تنبيه الألباب في أعمال الحساب "وتوسع في شرحها في مؤلَّفه الكبير "رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب."يقول الدكتور أحمد جبار عن ابن البنا المراكشي ما يلي: فمساهمته الأولى هي اكتشاف الصيغة العددية الشهيرة التي طالما نسبت أيضا إلى باسكال، والتي، بفضلها، يمكن، بعملية حسابية سهلة وسريعة، معرفة عدد كلمات لغة معينة بدون قلب الحروف وتكرارها[43] »

وهذا اكتشاف كبير جدا في اللغة العربية، كما أنه اكتشاف لا يضاهيه اكتشاف في الفترة التي كان يعايشها ابن ألبنا على الأقل.

---

43 ) ) أحمد جبار، من اللغة العربية إلى الرياضيات لمحة عن مساهمة العرب والمسلمين في الحضارة : مادّة علمية جديدة المؤتمر الدولي لجامعة الشارقة حول إسهامات العوم الإسلامية في الحضارة الإنسانية 208

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومساهمته الثانية هي توسيع ميدان التطبيقات للأدوات والطرق التوافقية بدراسة مسائل غير رياضية .ففي مصنفه" تنبيه الألباب"، قام بمعالجة المسائل التالية التي تتطلب استعمال عمليات توافقية[44] أو على الأقل إدخال نظرة توافقية:

1-إحصاء مختلف حالات التركات المحتملة حسب عدد الورثة وحسب جنسهم.

2-حصر كل الحالات التي يكون الوضوء فيها ضروريا، وحالات جواز التَّيمم.

3-الجواب الصحيح على مسألة ابن عصفور الأشبيلي، بإحصاء جميع القراءات الممكنة لجملة ما، تبعا لقواعد النحو العربي.

4-حل مسألة فقهية تخص استرجاع الصلوات المنسية، بإحصاء عدد الصلوات التي ينبغي على المسلم أن يؤديها، وفقا لمذهب مالك، أي باحترام التسلسل الزمني للصلوات المنسية.

والملاحظ هو استمرارية الاهتمامات والممارسات التوافقية بعد عهد ابن البنّا. كما يشهد على ذلك ابن هيدور في كتابه" تحفة الطلاب وأمنية الحساب في شرح ما أشكل من رفع الحجاب "وابن المجدي المصري في كتابه" حاوي اللباب في شرح تلخيص أعمال الحساب " وحتى ابن خلدون في مقدمته الشهيرة » [45] .

وفي مجال علم الفلك.

كان لمدرسة الترجمة في طليطلة أكبر الدور في نقل تراث العلماء المسلمين إلى اللاتينية وغيرها من اللغات خاصة بعد سقوط طليطلة في يد ألفنسو السادس ملك قشتالة عام478 هـ1085/م، حيث فتحت الأبواب على مصاريعها لدخول معارف وعلوم العرب

---

[44] ) نستطيع القول أن عملية التوافقية ربما كانت من لبنات أفكار ابن ألبنا المراكشي إذ لأول مرة يستعملها في هذا الفن أو في هذا العلم .

[45] ) أحمد جبار، من اللغة العربية إلى الرياضيات لمحة عن مساهمة العرب مرجع سبق ذكره، ص209 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى الفكر الأوروبي عن طريق الترجمة، وكان العلامة الزرقالي ءاملعلا دحأ) .هـ480 تـ( كلفلا بتكـ زرـ بأ" يلطيلطلا جزـ لا "هفنصم نـاكو ،كلفلا ملع يف لوطو بـ نيذلا نيلطيلطلا / يجهلا سداسلا نرـ قلا يف ةينيتلالا ىلإ مجرت ثيح اينابسإ لامشـ ىلإ ةمجرت بلقتنا يتلا واتخذ منه علماء أوروبا أساسا لإعداد تقاويمهم وكتبهم السنوية حتى ،يدلاميلا رشع يناثلا في زمن كوبرنيك (059هـ/3451م)[46].

وقد قام يوحنا بن داود الإسباني، من مدرسة الترجمة الطليطلية، بترجمة عدد كبير من الكتب منها كتب فلكية كان يترجمها من العربية إلى القشتالية في حين يقوم شريكه "دومنجو جنديزالفو" بترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية. ومن المصنفات الفلكية المترجمة كتب البتاني وثابت بن قرة وهما بغداديان، وكتب مسلمة المجريطي الأندلسي وغيرهم، وترجم يوحنا الاشبيلي رسالة في الإسطرلاب للمجريطي وكتابا آخر في الساعات لثابت بن قرة البغدادي» [47] .

أما أديلار دي باث htaB ed draledA (035هـ/5311م) فقد أسهم كثيرا في التعريف بالإنتاج العلمي العربي، وقد قام برحلات علمية كثيرة انطلاقا من بلده انجلترا مرورا بإيطاليا وصقلية ومصر وآسيا الصغرى، كما طاف حواضر أندلسية كثيرة، وعند عودته إلى بلده في عهد الملك هنري الأول مارس نشاطا علميا مذهلا أكسبه شهرة واسعة حتى لقب بفيلسوف أنجلترا، وقد صنف عددا من الكتب في علم الفلك تأثر فيهابالمصنفات العربية التي ترجم البعض منها مثل كتاب "الأبحاث الفلكية" للخوارزمي بتصحيحات مسلمة المجريطي.[48]

---

[46] ) ألدو ميلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ، محمد يوسف موسى ، مراجعة حسين فوزي دار القلم القاهرة 1962 ص .953

[47] ) سيمون الحايك : نقل الحضارة العربية إلى الغرب، المطبعة البّولبة، جونيّة، لبنان، 7891، ص .26

[48] ) ألدو ميلي : العلم عند العرب، ص .384

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مجال علم الطب فإن اللغة العربية هي التي عرفت أوربا بكتاب القانون وكتاب الشفاء في الطب. الذي قدمهما العبقري المسلم الشيخ الرئيس ابن سينا. كما أن الطب قامت العربية بنقله عن اليونان من أبوقراط[49] الذي بدورها مارسته أيضا مع الرازي لتدل به أيضا أوربا على منجزات هذا العالم الجليل . والطب العربي ذاع صيته طبعا من خلال اللغة العربية حتى غدت أوربا مع القرنين الخامس عشر والسادس عشر تعتمد كل الكتب التي ألفاها الأطباء العرب في البرنامج الجامعي لجامعاتهم العريقة من الجامعات الفرنسية والجامعات الايطالية والجامعات...

« ففي عام 953م أرسل أوتو Oto العظيم ملك الألمان سفيرا من لدنه إلى قرطبة، إلى راهب يدعى جون الذي عاش ما يقرب ثلاث سنوات في عاصمة الخلافة الأندلسية. وقد تعلم العربية بإتقان. وعند عودته إلى موطنه، حمل معه مئات المخطوطات الطبية والعلمية القيمة، والتي ساعدت على نشر جوهر علوم العرب العظيمة في أوربا الغربية بصورة سريعة ومدهشة[50]»

ومن هنا نلاحظ أن انتقال العلوم الطبية عند المسلمين إلى أوربا وأثر ذلك في تطور علم الطب عند الأوربيين"، وهو موضوع حديثنا في هذه الورقة، فقد سجل في تاريخ الإنسانية بمداد من نور وتواترت شهادات المنصفين في تجسيد ذلك. إذ أنه في الوقت الذي ازدهر فيه علم الطب عند المسلمين وبلغ درجة عالية من التطور بالاكتشافات الطبية الرائدة والمؤلفات العلمية المهمة، وبما اشتهر به المسلمون من طرق مبتكرة في تشخيص الأمراض وطرق العلاج وصنع العقاقير والمركبات الطبية المتنوعة، وتطوير مجالي الجراحة والتشريح، والتوسع في بناء المستشفيات (البيمارستانات) والتفنن بها، فقد بقيت أوربا –وخاصة بين

---

49 أبو قراط طبيب وفيلسوف يوناني (460-377 ق.م )

50 ) الفاضل عبيد عمر، "الطب الإسلامي عبر القرون"، الرياض، دار الشواف، جده، دار المطبوعات الحديثة، 1410هـ/1989م، ص.82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرنين الأول والخامس الهجري (أي بين القرنين السابع والحادي عشر الميلادي)- في ظلام دامس يعتبر ما وصل إليه العلماء المسلمون في الطب خرافة ووهما لا فائدة منهما. ولم يتغير ذلك الاعتقاد إلا في عصر النهضة الأوربية، أي نصف القرن الخامس عشر الميلادي. لذا اعتمدت معظم جامعات ومستشفيات أوربا اعتمادا كليا على إنتاج علماء المسلمين[51]

وفي القرن الثاني عشر الميلادي بلغت حركة الترجمة من العربية غايتها من النشاط، فترجم عدد كبير من الكتب الطبية المشهورة، أو أعيد ترجمة الكتب التي كان ترجمها قسطنطين الإفريقي ترجمة رديئة أو ناقصة. وكانت معظمها على يد أشهر المترجمين الأوربيين وأكثرهم نشاطا وهو جيرارد الكريموني (1114-1187م) الإيطالي الذي جاء إلى طليطلة وانضم إلى مجموعة المترجمين الذين كانوا تحت رعاية رئيس أساقفتها ريموند. ومن هؤلاء المترجمين ماركوس الطليطلي، وغنديسلاوي، ويوحنا الإشبيلي؛ ومن الأجانب روبرت الرتيني، وأديلارد الباثي، وألبرت، ودانيال مورلي وهرمان الدلماشي، وكانت طليطلة قد سقطت في أيدي النصارى الإسبان في سنة 1085م، فنشطت فيها حركة الترجمة المنظمة. وعرفت هذه الحركة بمدرسة طليطلة. وجاء إليها بعض العلماء الإنجليز والطليان والألمان، ليتعلموا العربية وينهلوا من منهل الثقافة العربية فيها.

فمما ترجم جيرارد الكريموني من كتب الطب، "القانون في الطب" لابن سينا، وكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" (قسم الجراحة) للطبيب الجراح الأندلسي أبي القاسم الزهراوي، وكان كتابا تعليميا زهاء خمسة قرون في أوربا، وكتاب "التذكرة في طب العيون وجراحتها" لعلي ابن عيسى الكحال الدمشقي، وعرف هذا المؤلف في أوربا اللاتينية باسم Haly، وترجم معه كتاب عمار الموصلي في طب العيون أيضا، وقد استخدما معا في جامعات أوربا حتى القرن الثامن عشر، وكتاب "المنصوري" للرازي، وقد ذاعت المقالة

[51] )علي عبد الله الدفاع، "أعلام العرب والمسلمين في الطب"، دار الرسالة، 1983م، 2، ص.21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العاشرة منه عن الحميات ذيوعا كبيرا في أوربا، وطبعت عدة مرات[52]. وقد بلغ ما ترجمه جيرارد زهاء مائة كتاب ويقال بأن بعضها من نتاج تلاميذه، وبعضها بالاشتراك مع غيره خاصة غالب (Gallipus)[53] ، وهو مستغرب وكان نزيها وذا كفاءة عالية في الترجمة وحسن الاختيار للكتب التي ترجمها. وكان موسوعيا في الترجمة حيث قام أيضا بترجمة كتب في الطب كالفلك والرياضيات والأدب.

وفي مجالال ترجمة علم الكيمياء من اللغة العربية

يعتبر دور المسلمين في التدشين لعلم الكيمياء دوراً بالغ الأهمية، بل لم يكن للعالم غنى عنه خاصة في أوروبا، فقد استفاد الأوربيون من نظريات المسلمين وخبراتهم وتجاربهم في الكيمياء، وقاموا بترجمة كل كتب الكيمياء العربية إلى اللاتينية؛ ذلك أن المسلمين هم أول من وضع الأسس العلمية للكيمياء المبنية على التجارب، وكان لجابر بن حيان اليد الطولى في نشأة علم الكيمياء، وهو الذي نظم كثيرا من طرق البحث والتحليل، وركب عددا من المواد الكيماوية، وكانت أبحاثه هي المراجع الأولى في أوربا حتى القرن الثامن عشر[54].

ويشهد على هذا التأثير الأستاذ (ميرهوف) فيقول: إن تأثير جابر بن حيان قد طبع تاريخ الكيمياء الأوروبية في العصور الوسطى وحتى العصر الحديث بطابع يمكن تتبعه، فقد كان اسم جابر بن حيان واحداً من أوائل الأسماء التي مجدها الغرب منذ أول عهده بالاتصال بعلوم العرب، فكانت كتبه تترجم إلى اللاتينية فور الحصول عليها، وكان كتابه "التراكيب" من أول الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية؛ إذ ترجمه روبرت الشستري في

---

[52] )سيد رضوان علي، "العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية"، الرياض، دار المريخ 1407هـ/1987، صص.111-112.

[53] )، سعد بن عبد الله البشري، "الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس"، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1414هـ/1993م، ، ص.542.

[54] ) المرجع نفسه ص543.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنة (1144م) وترجم جيرار الكريموني كتاب" السبعين[55]."

ولقد استمر تأثير جابر في أوروبا والغرب بعد ذلك حتى ترجم له ريتشارد رسل الإنجليزي بعض أعماله من اللاتينية إلى الإنجليزية في سنة (1678م) تحت عنوان" :أعمال جابر أشهر الأمراء والفلاسفة العرب" مترجمة بأمانة بواسطة ريتشارد رسل من محبي الكيمياء.

كما أن ألبرت الكبير نقل أعمال جابر الكيماوية وغيره من الكيميائيين العرب في كتابه، ولم يبتكر ألبرت شيئاً ولم يُضِفْ بإجماع الباحثين، وصار الكتاب مرجعاً للعالم فيما بعد[56].

وتأثير العرب المسلمين في مجال الكيمياء واضح في موسوعة "فانسيت دي بوقيه"، يقول الأستاذ ميرهوف: "إن المقالات المنسوبة إلى دي بوفيه مليئة بشواهد عن جابر"[57]، ولا أحد ينكر مدى أهمية هذه الموسوعة لدى الغرب.

وهذا هنري كافندش عالم كيميائي كبير تأثر تأثراً شديداً بإحدى نظريات جابر في القرن الثامن عشر، يقول هوليمار: تكمن إحدى الإضافات الأساسية للنظرية الكيماوية المتعلقة بتكوين المعادن في آرائه (أي جابر)، قبل جابر على أية حال نظرية أرسطو في تكوين المعادن، ولكنه يلوح بأنه نظر فيها على أنها مبهمة بطريقة كبيرة تجعلها عاجزة عن أن تفسر الحقائق الملاحظة، ولا يمكن أن تنير السبيل إلى الوسائل العلمية للتحويل (أي التحويل من معادن رخيصة إلى ذهب) ولذلك عدلها بطريقة ما ليجعلها أقل إبهاماً وعاشت النظرية التي اقترحها بعد إضافة بعض التعديلات والإضافات حتى بداية عصر الكيمياء الحديثة في القرن الثامن عشر، فنظرية الفلوجستون نفسها بالرغم من قصورها قد وصفت بأنها الدليل والمصباح المنير للكيماويين في القرن الثامن عشر، هذه النظرية التي وصفها البعض بأنها

---

[55] ) المرجع السابق نفسه ص542.

[56] ) نفسه ص543.

[57] ) ورد هذا القول ل ميرهوف في : سعد بن عبد الله البشري، "الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مرجع سبق ذكره، ص544

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

درة العصر ما هي إلا مولود مباشر لنظرية ابن حيان في تكوين المعادن[58].. هذه هي شهادة أحد الأساتذة الغربيين، توضح إلى أي مدى أسهمت الحضارة الإسلامية وأثرت في الحضارة الغربية في مجال الكيمياء.

أما مبحث مسلمة المدريدي في الأندلس الذي وصف أكسيد الزئبق وقدم بياناً بطريقة تحضيره، يشهد هوليمار على أن هذه المادة لم يستفد منها أحد مثلما استفاد منها بريستلي ولافوازييه.

الحقيقة هذه عينا وليست دراسة وافية عن كل ما قدمته اللغة العربية من تراث حضاري وفكري للغرب في ذاك الانتقال الحضاري المدهش والذي شهد له الغرب قبل أهل هذه الحضارة كما أننا أيضا لا ندعي الإلمام بما استفادت منه اللغة العربية من تراث السابقين عليها في الحضارات ولكن أخذنا عينات ونماذج أتينا بها على سبيل الشهادة فقط لأن مجال البحث هذا لا يتسع لكل الانتقال الحضاري بيمن الشرق شرق أي الحضارات الشرقية نحو اللغة العربية أو من الشرق نحو الغرب أي الانتقال الحضاري من الحضارة العربية الإسلامية نحو الغرب أي نحو حضارة أوربا.

اللغة العربية وتحديات.الاتصال والتبادل الحضاري

إن اللغة العربية باتت من اللغات المعروفة اليوم في العالمية فهي اللغة السادسة في تصنيف هيئة الأمم المتحدة وإن كان هذا التصنيف له ماله وعليه ما عليه فهو تصنيف يركز على الاستعمال اللغوي للشعوب العربية فقط بينما يتغافل تلك الشعوب التي تستعمل العربية في المعاملات لا سيما الدينية منها على الخصوص ناهيك عن أنه تصنيف يجعل من الدول التي خضعت للمستعمرات من الدول العربية ونتيجة لتعاتها الادارية والسياسية تستعمل اللغات المستعمرة في كل هذه النشاطات لكن عربيتها في الحياة العادية مستعملة في

---

58 ) نفسه ص،544

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل عربية دارجة وعربية هجينة اللغة ( أي عربية بها من ألفاظ اللغات الأجنبية الكثير كما أن هذه اللغات الأجنبية التي تتعامل معها بها الكثير والكثير من الألفاظ العربية ومن هنا فإن الحكم عليها على النحو الذي أسلفنا قد لا يميط اللثام على حقيقة هذه اللغة وأما في المجال العلمي اليوم فإن التحدي المضروب على اللغة العربية هو تحدي حضاري بمعنى أنها اللغة التي لم تعد تنتج المادة الصناعية في المجال التكنولوجي ولكن العيب هنا ليس فيها بل العيب في الفكر العربي الاسلاي التي تستوعبه اليوم والمعادلة الصحيحة هي كلما كان هذا الفكر نشيطا وصحيحا وصالحا كنت العربية معبرة عنه والعكس صحيح لكن« اللغة العربية صالحة لأن تكون وعاء حاملا للعلوم والتكنولوجيا، والدليل على ذلك أنها بفخامة ألفاظها ونصاعة بيانها وجزالة كلماتها وصرامة تركيبها كانت لغة العلم والفنون والآداب في العصر العباسي يقبل عليها الأجانب لتعلمها ومدارستها والبحث من خلالها، كما كانت اللغة المفضلة لكثير من الشعوب والأجناس كفارس والأندلس ودول الغرب الإسلامي . ولقد انتقلت كثير من المؤلفات والمصنفات إلى أوربا باللغة العربية، و تم نقل محتوياتها وتمثل مضامينها عن طريق الترجمة كما فعل كثير من العلماء والمستشرقين الغربيين مع ابن رشد وابن سينا والزوهري والخوارزمي وابن النفيس»....

وقد قلنا سابقا :إن اللغة مرتبطة بمستوى الفكر، لأن الفكر هو الذي يصنع اللغة في نفس الوقت تصنعه اللغة كما قال جون دو J , De Lacroix كما أن الفكر جسد اللغة واللغة هي ثوب الفكر كما ينص على ذلك موريس ميرلوبونتي . Maurice Merleau-Ponty

فإذا كانت الأمة متقدمة على صعيد العلوم والتكنولوجيا والفنون والآداب ، حتما ستتقدم اللغة بدورها مادامت هي حاملة للفكر وأداة للتواصل والتبليغ ، والدليل على ذلك أيضا اللغة اليابانية التي أصبحت لغة متقدمة إلى جانب عملتها الثمينة بفضل تقدم صناعتها ذات التقنية العالية وسيطرتها على معظم أسواق العالم حتى أصبحت منتجاتها تهدد الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية الغربية حتى في عقر دارها »

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.وهنا أستشهد بقصيدة حافظ إبراهيم الشاعر المصري المعروف في حديثه عن اللغة العربية التي تعبر خير تعبير عما نحن بصدد ه الآن في هذا المقام:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي و ناديت قومـي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجـزع لقول عـداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائـسي رجالا وأكفـاء وأدت بنـــاتي

وسعت كتاب الله لفظا وغايــة وما ضقـت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيـق أسمـاء لمختـرعات

**والخلاصة:**

رأينا أن اللغة العربية هي اللغة التي لعبت الدور التاريخي، لما قبل الحضارة العربية الإسلامية. كما أنها لها لعبت دور إرساء أسس هذه الحضارة. بالإضافة إلى أنها مارست عملية الاتصال الحضاري أو لنقل الانتقال الحضاري من مواطنها مشرقا ومغربا نحو ما يسمى اليوم بالحضارة الحديثة، عبر عصر النهضة الأوربي.

ففي مجال الحضارات السابقة عليها. رأينا كيف أنها (أي اللغة العربية) عملت على تعريب وترجمة كل التراث اليوناني والهندي والصيني وغيره. حتى غدا ذاك التراث من الثقافة العربية الإسلامية. لما لمسته هذه الأخيرة من ملاءمة ذاك التراث والأرضية الخصبة التي صنعتها حضارة «اقرأ » . وهي بذلك تقدم النموذج الذي يجب الاقتداء به اليوم، لما كنا بوضع يشابه إلى حد ما وضعية «بادرة الحضارة» التي نحن عليها اليوم. الشيء الذي يتحتم علينا الاستفادة من تجارب وحقول الحضارة المعاصرة. في شتى الميادين بما يتوافق م حضارة «اقرأ » .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا يقتضي منا بذل مجهود جبار، في سبيل الدعوة إلى تعريب حقيقي للمعارف العلمية والتقنية، بدلا من الترجمة الحرفية السطحية؛و تشجيع العلماء وتحفيزهم ماديا وماليا ومعنويا قصد دفعهم نحو الإبداع والإنتاج. وكذا الاهتمام بالبحث العلمي وتخصيص كل الإمكانيات لدعمه وتقويته ميدانيا وتطبيقيا. كما أنه لا بد من تفعيل المجامع اللغوية العربية والمؤسسات الساهرة على التعريب ونشر اللغة العربية وثقافتها على تنفيذ التزاماتها والسهر على تطبيقها في الميدان.

وبخصوص ما ألمحنا إليه من دراسة كنوز في الحضارة العربية الإسلامية. والتي لا حظنا أنها كانت كلها على مختلف تخصصاتها العلمية، وعلى مختلف ميادينها الثقافية، تحتاج منا –كعرب وكمسلمين– إلى الاهتمام بها، واستخراجها، ونفض الغبار عنها من الرفوف التي تزخر بها خزائننا المكتبية. لإعادة بعث الروح العلمية فيها باللغة العربية. خاصة وأننا نعلم أن أوربا الحديثة كانت قد استفادت مما سمته أو أطلقت عليه بعصر النهضة من التراث اليوناني. حتى غدا مصطلح نهضة Renaissance عندها يفيد إعادة الميلاد : وإعادة الميلاد للتراث اليوناني والروماني. إذ أن أوربا تفطنت إلى أن هذا التراث، كان قد شكل جزء أساسيا في حضارتها الأولى ومن ثمة وجب الاهتمام به ونحن عندما نتفحص الفكر الغربي على أيامه تلك وإلى أيامنا هذه يجعل منه مدخلا دائما لكل بحوثه ومؤلفاته ومدوناته و....ولماذا لا تأخذنا على الأقل نعرة أن تراثنا كتب باللغة العربية كي نستفيد منه كما استفادت منه ولهذا لابد من الاهتمام بهذا التراث العربي الإسلامي كي يكون دائما وأبدا مداخل لما يتوجب أن نكون عليه من موقع حضاري . وفي هذا الصدد فإننا نشيد ببعض المبادرات التي نشطت هنا وهناك في الوطن العربي، كمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي. وكذا بعض المراكز الأخرى المنتشرة في كل من المملكة العربية السعودية والجزائر وجمهورية مصر العربية ....ولكنها لازالت في طور التأسيس، إذ لم تبلغ بعد طور الإنتاج. وعلى الرغم من ذلك فهي تبشر بالخير لمستقبل اللغة العربية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبما أننا كمجتمع للغة العربية مازلنا نترنح تحت وابل من الهجمات اللغوية المعاصرة فإنه يتوجب علينا الاستعداد الكامل ل جعل اللغة العربية تأخذ نصيبها الحقيقي في مجالات عدة إن على مستوى المنظومة التربوية أو على مستوى المنظومة السياسية أو على مستوى المنظومة الاجتماعية.فبخصوص الأولى علينا أن نستخدم اللغة العربية في كل أسلاك التعليم وإعادة الثقة في دواتنا وقدراتنا وأصالتنا، والوعي بأهمية هذه اللغة وقدرتها على المواكبة والمسايرة لكل مستجدات العلم والتكنولوجيا أنه علينا القيام بإصلاح بيداغوجي وديداكتيكي حقيقي يرفع من قيمة اللغة العربية من خلال إعادة النظر في مقاييسها التقويمية وأساليب تدريسها ومقرراتها ومناهجها. وكذا السهر على تكوين أساتذة الجامعات باللغة العربية وخاصة الذين تلقوا معارفهم في المراكز الأجنبية أو تابعوا دراساتهم العليا في جامعات الغرب

خلق رؤية إستراتيجية قريبة المدى أو بعيدة المدى، أو وضع خطة مستقبلية لتطوير اللغة العربية وتهذيبها وترقيتها وتحسين أساليبها والعمل على نشرها اقتداء بفرنسا وسياستها الفرانكفونية.

ويتحتم علينا في هذا الصدد إنشاء كليات ومراكز ومعاهد تهتم باللغة العربية وتسهر على تطويرها وتحسين طرائق تعلمها للعرب والمسلمين والأجانب وجالياتنا في الخارج. و تشجيع كل أفراد الأمة على الاختراع والاكتشاف والإبداع والعمل والإنتاج؛ لأن اللغة تتقدم بتقدم الفكر وتنحط بانحطاطه.

وعلى المستوى السياسي لا بد من تفعيل دور وسائل الإعلام والإعلان لخدمة اللغة العربية وتطويرها وجعلها لغة التداول والحوار وربط اللغة العربية بالتكنولوجيا الرقمية و شبكة الاتصالات الأرضية والفضائية المتطورة. كما أنه لا بد من فرض اللغة العربية في كل المحافل الدولية والمنظمات التابعة لهيئات دولية والتابعة لهيئات إقليمية ومحلية ....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما على المستوى الاجتماعي فإن عملية تعريب المحيط لا بد أن تأخذ مجراها كعملية حضارية بكل ما يلزمها من تعريب للأدمغة وهذا أهم ومن تعريب للمحيط الاجتماعي وعلينا زرع في بلد عربي كوكبة من العلماء باللغة العربية يزرعوا التربية الاجتماعية للغة العربية في كل هذه المواطن كمرحلة أولى، في انتظار ما يتم لنا من نهوض حضاري باللغة العربية.

والعبرة الأخيرة التي نستخلصها من عملية الانتقال الحضاري كالذي حدث بين العربية واللغات إبان عصر النهضة الأوربي هو واجب التعريف بالأفكار وبالكنوز العلمية لتراثنا للأمم التي تعايشنا ونعايشها في هذا العصر. وهذا يقتضي مجموعة من الشروط في مقدمتها أن نحقق «الطفرة الحضارية » أولا.

وثانيا أن نبلغ وننشط في مجال الاتصال والمعلوماتية على مستوى شبكات الاتصال المعروفة اليوم بالفضائيات . هنا تجدر الإشارة أن نجعل الحكمة «إن الإناء لا يرشح إلا بما فيه» نصب أعيننا. كما أنه علينا أن نقوي المكنونات الحضارية في نفوسنا حتى تتقوى اللغة التي نبلغ بها. وعلى الله قصد السبيل

---

**ثبت بمصادر ومراجع البحث .**

**الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:**


- سورة البقرة الآية،31،.
- سورة الشعراء الآية، 195 .
- سورة الحجر، الآيتان،29،28.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– صحيح البخاري(3364) قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي – صلى الله عليه وسلم– فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم

– قول عثمان بن عفان مؤكد من حادثة وضع قاعدة عند كتابة اللجنة التي انتقيت لكتابة القرآن ، حيث يقول « إذ اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن , فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنه إنما نزل بلسانهم» http://www.alabrarforum.com/t430.html

أنظر: الاتقان 59/1 , مقدمتان فى علوم القران ا يدل على أن إسماعيل عليه السلام تعلم العربية من جرهم.

[1] – أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، الجزء الأول، موفم للنشر ، الجزائر،1989،.

2– ابن جِنّي ، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر د ط، الجزء الأول، بيروت– لبنان– دون تاريخ

3– أحمد جبار، من اللغة العربية إلى الرياضيات لمحة عن مساهمة العرب والمسلمين في الحضارة : مادّة علمية جديدة المؤتمر الدولي لجامعة الشارقة حول إسهامات العوم الإسلامية في الحضارة الإنسانية 208

4– أحمد جبار، العلوم في الحضارة العربية الإسلامية ، محاضرة قدمت في الملتقى الدولي ربيع سيرتا الرياضيات والفلسفة، 2009

5– أحمدعبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ( القاهرة: دار الفكر العربي، 1990

6– ألدو ميلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ، محمد يوسف موسى ، مراجعة حسين فوزي دار القلم القاهرة 1962 .

7– حسن ضياء الدين العتر ،الأحرف السبعة، دار البشائر الإسلامية 1988

8– زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي،الطبعة الثامنة، دار الآفاق الجديدة بيروت،1413هـ 1993 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2002

10- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة ،

11-سيمون الحايك : نقل الحضارة العربية إلى الغرب، المطبعة البّولبة، جونيّة، لبنان، 7891

12- سيد رضوان علي، "العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية"، الرياض، دار المريخ 1407هـ/1987

13سعد بن عبد الله البشري، "الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس"، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1414هـ/1993م،

14- الفاضل عبيد عمر، "الطب الإسلامي عبر القرون"، الرياض، دار الشواف، جده، دار المطبوعات الحديثة، 1410هـ/1989م،

**15-**محمد جاسم فلحي الموسوي، نظرية الاتصال والإعلام الجماهيري... **الجامعة العربية المفتوحة في الدنمارك**

16-محمد رشيد ناصر ذوق ، اللغة العربية وعلاقتها بأسماء الأنبياء ،الجزء الأول تشرين 2005

17- محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق – سوريا – 1991.

18-مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا، دار الصديقة، الجزائر 1400هـ/1980م

19- مالك بن نبي ،سلسلة مشكلات الحضارة، ميلاد مجتمع شبكة، العلاقات الاجتماعية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر دمشق 1980

20- المنصف العياري ومحمد عبد الكافي ،القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة ،سلسلة بحوث ودراسات إذاعية تونس 1427هـ2006م

21-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، -

22- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،تحقيق فؤاد علي منصور الجزء الأول، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

23- علي عبد الله الدفاع، "أعلام العرب والمسلمين في الطب"، دار الرسالة، 1983م
24-هادي حسن عليوي و جبار عودة العبيدي ، مدخل في سياسة الإعلام العربي والاتصال، صنعاء ، مكتبة الجيل الجديد 1993.

25- G. Lebon,La civilisation des arabes livre 5 .Edition Firmin Didot -

Constantine 2009 : Printemps de Cirta : Eclosions mathématiques et philosophiques 26 Djabbar,A

27- Yves Thoraval Dictionnaire de civilisation musulmane Editions Larousse, Collection Les référents, 2001

28-Maxime Rodinson, Les Arabes Presses Universitaires de France, 1985

30-Bernard Lewis, Denis-Armand Cana, Les Arabes dans l'histoire, Editions Flammarion, 1996

31- Malek Ben nabi ,Vocation de l'Islam,Paris Ed du seuil 1954.

32-http://www.alkhaleej.ae/portal/b4e9f...e2dab2692.asp

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com